غزوة أسبتريرة

درامة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الرواية

موسى بن نصير ، الفاتح العربي	فاضل بن مسروق
لذريق ، ملك القوط	عامر بن مشنوق
جوليان ، حاكم سبتة	طريف بن مالك ، القائد
فلوريندة ، بنت جوليان	حاجب لذريق

جندي

المنظر الأول

(لقصر جوليان صاحب سبتة مساء يوم رسمي من السنة الحادية والتسعين للهجرة = ٧١٠ م)

فاضل بن مسروق — عجيب والله . عجيب والله . عجيب .

عامر بن مشنوق (مغاظاً) — أتسبح الله يا ابن مسروق .

فاضل — عجيب والله . عجيب والله . عجيب .

عامر — (مغاظاً) أبك مس يا ابن عمي .

فاضل — نعم . نعم . فمولانا لاحظ أو قال إن لقبي شارة الخير ، ويدعى أني أنا « ابن مسروق » جلبت له الحظ والبركة .

عامر (مغاظاً ، متهكماً) — أنعم بك وأكرم .

فاضل — لا تتهكم يا صاحبي عليّ . فقد ذكر مولانا عنك أنك لقبك يا « ابن مشنوق » قال الحياة .

(يضحكان ساخرين ضحكة خفية مكبوتة)

عامر — سبحان المغير الذي لا يتغير . كنت أقصر بقشاؤم مولاي من لقي سبحان إذن

فاضل (مقاطعاً) — عمرك الله . لا تتعجل الفرحة يا رفيقي .

عامر (جازعاً) — ماذا وراءك يا ابن مسروق ؟

فاضل (منبطاً) — لا تسألوا عن أشياء إن تب .

عامر (مذعوراً) — يا فاضل يا ابن مسروق . حذار ، حذار . أنظر يدي . سأخنقك إن لم تفصح .

(تسمع حركة هجوم عامر على فاضل ، مقاطعاً يديه على عنقه)

فاضل (بصوت مختنق) — آخ . خ . ستخنقني يا أحمق . انتظر — سأخبرك .

عامر (متلهفاً) — تكلم اذن قبل أن تخرس الى الأبد .

فاضل (منهوكاً) — آه — اسمع يا ابن عمي ، ما أريد لك الا الخير ولم أشأ أن أخدعك .

عامر (مقاطعاً ، ملهوفاً) — تتجمل تتصنع أفصح يا أزعر قبل ان أهوي عليك بيدي . افصح . افصح .

فاضل (خائفاً ، متمتماً كلامه) — آخ . استمع ولا تقاطع حديثي ، وسأبلغك كل شيء . آخ .

عيب يا ابن مشنوق . آخ .

(متماسكاً بتعدد يطه وضعف) — صدقني يا ابن عمي . ان مولانا يحسن الظن بك ويتفاءل . ولكن . ولكن .

عامر (مقاطعاً) — اسمع انت يا ابن عمي إن مولانا في الواقع لثقته البالغة بك رأى البركة اوصالك الى ميدان القتال في...

فاضل (مذعوراً مقاطعاً) — القتال ل . أنا أنا . القتال ل .

عامر (مقاطعاً مستزيداً توثبه) — نعم ، نعم . فاسمع ولا تقاطعني . وستتبين صداقتي الحقة لك . إن مولانا الأمير أعزه الله ونصره رأى بثاقب تفكيره وبعد نظره أن تكون أحد الحسناة المختارين لغزو جنوب الأندلس تحت إمرة طريف بن مالك !

فاضل (خائفا صائحا) — أنا يا ابن مشنوق ، لعنة الله عليك . ألم تعتذر عني لمولاي بأني عليل تعيقني رؤية السيف مجرداً به القتال . ثم إن مولاي الأمير لم يحدثني عن ذلك . ومن يدريني أن هذا ليس تآمراً منك . اعترف يا خبيث . اعترف !

طامر (خائفا من هياج صاحبه) — . آخ . إستمع يا غبي ما دمت تريد الحقيقة كاملة . استمع .

فاضل (لنفسه) أسرع اذن بالكلام ولا تحرج صدري .

طامر — لقد استشار الأمير الخليفة فأذن له بالغزو . أما المحرّض الأول على هذا الغزو فصاحب هذا القصر جوليان .

فاضل (مغاظا) — جوليان.

طامر — أجل جوليان . وكان لا بدّ من اختيار نخبة من الفرسان الأشاوس ، فكنت أحد المختارين بل في طليعتهم .

فاضل (دهشا) — أحد الأشاوس المختارين ! يا لله . لقد جن العالم . أنا الذي أفرق لرؤية المرشد ولم أعرف صهوات الجياد . أنا الذي أغمى عليّ يوم هاج جواد الأمير . أنا الذي .

(يسمع صوت أقدام وسنى الخطو مقتربة)

طامر (مغاظا بصوت منخفض) — حاذر يا مغرور . ها هو الأمير قادم . هلمّ بنا الى غير هذا المكان فان بصحبته أحداً ، وقد تتمكن من استراق السمع .

(تقترب الأصوات)

الأمير موسى بن نصير — . نعم إني راض عنك يا جوليان ، وانى مسؤول الآن عن حمايتك بعد أن صرت تابعاً لي تدفع الجزية التي ارتضيتها . ثم انى سأتولى غسل العار وسأقضي على الطريق عقاباً عادلاً لاختطافه ابنتك الحسناء وسترى فلورينده ثانية بعد أن ننتصر نهائيا في حربنا التي أجازها أمير المؤمنين .

جوليان — شكراً ، شكراً يا مولاي . كنت أصبح كفيفاً من بكائي على فراق ابنتي المحبوبة التي أود لو افديها بنفسي . شكراً يا مولاي . وان الثأر لثأران ، فان صبر لأولاد غطشة الذين كان والدهم ملكاً لاسبانيا قبل الطريق فاغتصب هذا العين

ملاك أبيه كما نصب أخيراً فلوريندة .

الأمير موسى — دعني روعك يا جوليان . فالعدل سوف ينتصر . العدل كسول ، وأحياناً خجول . ولكنه لا يفر من الميدان عندما بطليعة قليلة ، ولكن لها ما بعدها ، فكن صبوراً ، وان تكن صداقة النصر كالصبر ، ولكنها صداقة لا تخيب حلوة العاقبة . ولقد انتشيت يا جوليان رجالي وأعددت مراكبي الى جانب مراكبك ، وجيشهم من الأبطال الأشاوس .

عامر (بصوت خافت بيده) — يا لله . أنا من الأبطال الأشاوس .

جوليان — إنك تصل على احقاق الحق حين تعمل يا مولاي على انقاذ شرفي . أطال الله عمرك وجعلك دائماً منارة البائسين .

الأمير موسى — ستكون هذه الحملة مثالية في حسن التنسيق والاختيار . وفي البداية لم أبخل عليها حتى بتابعي فاضل الذي أومن ببسالته .

فاضل (دهشا ، بصوت منخفض بيده) — ببسالتي أعوذ بالله .

الأمير موسى (متابعا كلامه) — اما الآن فقد استخرت الله وسأرسل في الطليعة ايضاً تابعي الآخر عامر بن مشنوق .

عامر (مذعوراً مغلوباً ، بصوت منخفض بيده) — خير اسود يا ابن مسروق .

المنظر الثاني

(في غرفة الجلوس الخاصة بقصر قشتيل ملك القوط في مدينة طليطلة ، وقد جلس مساء يحادث فلوريندة ابنة جوليان) .

قشتيل — ايطل النور معي لبغضك أم ترى رمز حبك المستور
انظري قلبي المناجي لقلبك تطمئني ، وتصغي عن شعوري

فلوريندة (حائرة) — اي صفح ترجو وأنت الذي يمرح في الغدر ساخراً بالوجود ؟
إنما الثوب وحده يشمل الصفح فتب ، فالدمار عقبى العنيد !

قشتيل — هذا ابوك يا فلوريندة فتح ابواب سبتة لابرابرة العرب الكافرين ، ولا يبعد ان يحرضهم عليّ ، وهذا ما لا يفعله الكريم مهما تكن الدوافع ، دالاً على

الكرامة الدينية والكرامة الوطنية معاً . واذن لم اكن خائناً في مسلكي إذ منعتك من العودة اليه . فأنت شمس في قصري ، بل في سماء طليطلة . واي جدوى لك من العودة إلى جوّ الصغار والدسائس والحرب .

فلوريندة — حقي أن أعود إلى أهلي ، فما جئت الى بلاط طليطلة إلاّ مكرهة ، فلم أقدم الا تضييع شرفي والغدر بي وبأهلي . أرجعني إليهم وتب الى الله يا غادر .

لذريق (مغتاظاً) — لا أود أن أغلظ لك القول يا فلوريندة ، فلا تحرجيني .

فلوريندة — وماذا في إغلاظك القول بعد إغلاظك العمل ؟ أما العرب الذين تتهمهم بالبربرية والكفر فقد صحبت أنهم أهل إحسان ورحمة أعراض . فأين أنت منهم ؟ أين أنت .

لذريق (مغتاظاً) — إخرسي يا امرأة .

فلوريندة — حسناً اظهر بثوبك الحقيقي . إظهر بثوب الأرقم .

(يسمع صوت برق مقفر)

لذريق — رباه ما هذا . (يسمع وقع اقدام متتابعة) إنك لشؤم عليّ . ومع ذلك أظل متعلقاً بك .

(يدخل حاجب الدريق)

الحاجب — عفواً يا مولاي . بالباب رسول يقول إن العرب أغاروا على منطقة « الجزيرة » ودحروا حاميتها .

لذريق (مذعوراً) — يا رباه .

المنظر الثالث

(على ربوة في منطقة « الجزيرة » بطرف الاندلس ، وقد انتظم الجنود العرب صياحا وميمنة وميسرة والقائم متظرين تحية قائدهم طريف بن مالك قبل عودتهم الى مراكبهم قافلين الى شمال افريقية) .

طارق بن مشترق — لعلك مسرور الخاطر يا ابن مسرور بعد أن أطار ذلك السلح اسبمين من يدي اليسرى .

فاضل بن مسرور — لم تكن منها فائدة ، وقد نال وزنك الى أسفل .

عامر ـ وكيف سأقابل الأمير بعد أن فقم المالح الآخر أذني اليسرى وهو يتظاهر بأنه جريح .

فاضل ـ وما الذي سأقوله أنا لمولانا بل كيف سأقابله بهذا الجرح الغائر في رأسي وبعضة تلك المرأة المولولة البدينة لذراعي ، ولا عضة لبؤة .

عامر ـ الحق عليك يا ابن مشنوق ، إذ كان عليك أن تجندها .

فاضل ـ لا تنس يا ابن عمي أننا كنا وما زلنا عرباً ، نحرص على أخلاقنا قبل الحرص على أعضائنا وأرواحنا .

(تسمع جلبة الجنود لقدوم قائدهم طريف بن مالك يخطبهم)

طريف بن مالك ـ السلام عليكم ورحمة الله (يرد الجنود بالتحية)

أيها الجنود . أهنئكم بنجاح هذه الغزوة المباركة التي هي مقدمة لحملة كبرى ، لا ريب فيها ، لنصرة الحق ودين الله . وسيسر مولانا الأمير حينما يبلغه أن خسائرنا طفيفة ، ولكنه سيسر أكثر حينما يعلم أننا بسبب قلة عددنا ووعورة المنطقة كدنا نطوق ويلقى بنا إلى البحر ، لولا البسالة الخارقة ، والتصرف الحازم العجيب ، والقدوة الحسنة التي قام بها بطل منكم كان يحارب بعدة ويدبرة كالمارد الجبّار شاهراً الطريق لكم وكأنما نسي نفسه وهول الموقف ، وكدت أطير اليه إشفاقاً وخوفاً على حياته . ذلك ما قام به بطلنا الأشوس الفذ عامر بن مشنوق .

(ضجة من الجنود)

أين هو (يسمع غطيطه وغطيط زميله وقد غلب عليها الاعياء)

جندي — انه يغط في نومه اعياء يا مولاي .

طريف بن مالك — وليس بينكم إلا جندي واحد يستحق اللوم بل التعنيف الشديد .

(ضجة من الجنود)

نعم . فقد تهوّر في البسالة حتى كاد يستشهد عمداً ، وكأنما كان يعاند القدر ذلك هو فاضل بن مسروق بطلنا الأعظم .

أين هو (يسمع النطيط مرة أخرى)

جندي ـ انه يغط في نومه اعياء يا مولاي .

[ختام الدرامة على صوت هدير البحر وموسيقى ملائمة]